

شبح المحروق

معتز خلوصي

يبدو أنني سأعاني قليلاً حتى أروي لكم قصتي،

انتقلت حديثاً إلى إحدى العمارات التي ليست بالقديمة وليست بالجديدة، ولكنها في منطقة يقل فيها العمران نوعاً ما وقريبة من البحر أيضاً، كان ذلك غريباً نوعاً ولكنه محبب إلي؛ فأنا من محبي الهدوء والبحر والصيد، عمارة صغيرة لا يسكن فيها سواي وإيجارها يناسب قدراتي المادية.

انتهزت أول فرصة و جهزت صنارتي و صندوق حفظ الأسماك الصغير و كرسي بحر و مذياع للتسلية، و انطلقت للصيد على الشاطئ بعد منتصف الليل عازم على المكوث حتى الصباح، ما المشكلة فغداً الجمعة و إجازة رسمية على أية حال، سرت مسافة طويلة على ضوء القنديل و الذي يعمل بالبطاريات حتى وصلت إلى الشاطئ، فرُغم أنني أراه من شرفة البيت إلا أنه لا زال بعيداً.

وضعت أشيائي على الشاطئ و جلست على الكرسي و أمسكت المذياع و أدرتة على قناة إذاعية كانت تذيع أغنية لأم كلثوم، ليلة جميلة و نساتمها منعشة و هلال ينير في السماء و أمواج هادئة و صيد جيد.

مرت ساعتان و بدأ صوت المذياع في الانخفاض حتى خفت تماماً، فرغت بطاريته و لم تنته الليلة بعد و الهدوء لا يكسر حدته سوى صوت الأمواج الخفيفة، أشعلت سيجارة أسلي بها نفسي.



قليلاً بعد، وبدأت أسمع صوت خطوات على الرمال و الحصى لأحدٍ ما يقترب، أنظر حولي فلا أجد شيء ولا حتى ضوء لبطارية، كيف لذلك السائر أن يرى طريقه في الظلام؟!

لست أدري، لعله زميل صيد مثلي ويهوى مثل هوايتي، الصيد ليلاً ممتع. الخطوات تقترب و يعلو صوتها، سكنت الخطوات فجأة و سمعت أصوات لأشياء ترمى على الأرض، نظرت ناحية الصوت و على ضوء الهلال الضعيف على بعد رأيت ظلاً يتحرك بلا ملامح، صحت (أهلاً) لكنه لم يُجب ، فصحت ثانية: - (إذا إحتجت إلى مساعدة أنا موجود)، لكني لم أتلق أي رد ، لعله شخص غير إجتماعي!

انهمكت في جذب صنارتي التي علقت فيها إحدى الأسماك، و سمعت صوت خطوات ذلك الشخص تقترب مني حتى توقف بجواري ، لا أستطيع النظر إليه فأنا منهك بجذب سنارتي في معركة مع سمكة تبدو قوية، لم يمهلن وقال :

- (أريد إشعال سيجارتي إذا سمحت).

- أجبته: (أعطني لحظة).

- لكنه أعاد: (أريد إشعال سيجارتي إذا سمحت).

لم أجه، و أكملت معركتي دون النظر إليه حتى أخرجت صيدي، و وضعت في ثلاجة الأسماك، أخرجت قداحتي من جيبي و نظرت ناحيته قائلاً:

- (الصبر يا أخي؛ فالدنيا لن تطير).

أشعلت القداحة و على ضوءها لم أر شيئاً سوى سيجارة معلقة في الفراغ

كأن أحد ممسكاً بها ولكن لا أحد!



أنفاسي ارتعدت مع فرائصي ، و شعرت ببرودة تسري في جسدي و شعري
 جسدي كله يقف، وبدأت عيناى تدمعان ولا أخفى عليكم، فقد بللت بنطالي أيضاً.
 ومع إرتعادي سقطت القداحة من يدي وانطلقت أجري وتركت كل أشيائي،
 لا أدري أين فإني لا أرى شيئاً، و ضوء الهلال و النجوم غير كافٍ ، ظللت أجري على
 غيرهدى حتى لمحت ضوء مصباح على بعد فأكملت جاريًا ناحيته حتى وصلت إليه،
 إنه مصباح كهربائي معلق على جدار خلفي لزاوية صغيرة للصلاة.

ظللت ملتصقًا بالحائط، و الفرع يساورني، خائفًا من أي صوت يصدر من أي
 مكان ولا يؤانسني سوى ذلك المصباح الوحيد مثلي!

مرت ساعتان كأنهما دهور ، حتى أفزعني صوت عال أتى من ميكروفون
 الزاوية بأذان الفجر أهدر ما بقى من شجاعتي و كرامتي ولكنه بعث في بدلٍ منهما
 الطمأنينة، تحسست جدار الزاوية حتى وصلت لباها و دخلت و اغتسلت و وصلت
 الفجر مع الإمام، و عذمت على ألا أكررها.

عدت للبيت مع شروق الشمس و تركت أشيائي، فليس عندي الشجاعة
 للعودة لإحضارها، قضيت صباحي في ترتيب بيتي و قررت أن أقضي ليلتي أمام
 التلفاز محاولٍ أن أتناسى ما حدث.

ظللت أشاهد التلفاز حتى منتصف الليل ولأتمكن من الذهاب للعمل غدًا
 صباحًا، أغلقته و توجهت لغرفتي لأنام، و ما أن فعلت حتى سمعت صوت طقطقة
 نيران مشتعلة و ضوءها يأتي من غرفتي يتبعها صوت صرخات لشخص ما يحترق،
 جريت ناحية الغرفة لأرى ما يحدث، و لكنني لم أجد شيئاً، الغرفة مظلمة و
 الأضواء مطفأة و كل شيء هاديء.

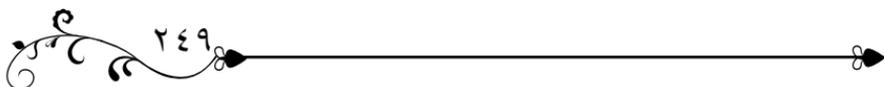


ثم بدأ يظهر ضوء ضبابي فوق الفراش حتى أصبح ككرة من ضباب أبيض كثيف مضيء ، تحركت تلك الكرة طافية في الهواء بهدوء وأنا أتبعها بنظري مرتعب غير مصدق لما أرى، حتى دخلت إلى الحمام، و صلت لقاعدة الحمام ثم سقطت فيه.

صرخة مدوية تبعها مجهولة المصدر، وتبعتها أنا بسقوطني فاقدٍ للوعي!
-عليّ أن أرحل من هنا.

هذا ما ورد في ذهني أول ما أفقت من إغمائي صباحًا ، جمعت ما استطعت من ملابس في حقيبة ونويت أن أحضر البقية فيما بعد!
هرولت مسرعًا نحو باب المنزل فوجدت البواب الذي أجرني الشقة واقفًا عنده، ظللت أصرخ فيه وهو يهديء من روعي ، وأخبرته ما حدث كله!
ولكنه قال لي:

- (سأخبرك ما حدث ولكن لا تغضب ، كان هناك شاب يسكن في شقتك بالتحديد ، كان على خلاف مع أسرته و خطيبته و حياته ممتلئة بالمشاكل، كان يهوى الصيد مثلك يا بني، حتى جاء عليه يوم تفاقمت عليه المشاكل فوق احتمالته فقرر أن ينتحر، أحضر زجاجة كيروسين وسكبها على رأسه وأشعل في نفسه النار، كانت صرخاته مفزعة ملأت المكان، من كان قريبًا من المكان وأنا معهم كسرنا باب شقته و أطفأنا الحريق بصعوبة، كان قد أصيب بإصاباتٍ بالغة، أحضرنا طبيبًا لعلاج، ولكن الطبيب أخطأ خطأ فادحًا؛ فقد تخلص من أثار احتراقه والتي كانت فيها بقايا بشرية في المرحاض، و مات بعدها الشاب بعدة أيام، بعدها بدأ ذلك



الضوء و الصرخات و أحداث غريبة تحدث كل ليلة في ذات اليوم الذي مات فيه الشاب من كل عام).

قلت له:

- (على أي حال علي الرحيل).

- فأجاب:

- (يبدو أنك لم تفهم بعد، ذلك الشاب كان أنت، ولا يمكنك أن ترحل و

كذلك أنا، فكلانا أموات!)

